

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

درس تلفزیونی قنّاء سوریا - الدرس : 01 - القلب

02-05-1988

قَلْبُ الْجَسَدِ مِنْ أَعْجَبِ مَا خَلَقَ اللهُ، إِنَّهُ مَضْحَةٌ مَزْدُوجَةٌ تَضْحُ الدَّمُ الَّذِي يَحْمِلُ الْغِذَاءَ وَالْوَقُودَ إِلَى كُلِّ خَلِيَّةٍ، وَنَسِیْجٍ، وَعَضْوٍ، وَجِهَازٍ عَنِ طَرِیْقِ شَبَكَةٍ مِنَ الْأَوْعِيَةِ یَزِیدُ طَوْلِهَا عَنِ مِئَةِ وَخَمْسِیْنَ كِیلُومِتر. إِنَّهُ یَعْمَلُ مِنْذُ الشَّهْرِ الثَّانِي مِنَ حَیَاةِ الْجَنینِ، وَحَتَّى یَحینُ الْحَیْنَ، لَا یَغْفَلُ وَلَا یَغْفُو، لَا یَنْسِی وَلَا یَسْهُو، وَلَا یَقْعَدُ وَلَا یَكْبُو، وَلَا یَمِلُ وَلَا یَشْكُو، یَعْمَلُ مِنْ دُونَ رَاحَةٍ، وَلَا مَرَاجَعَةٍ، وَلَا صِیَانَةٍ، وَلَا تَوْجِیهِ.. وَالْإِنْسَانُ بِجَبْرُوتِهِ یُؤْذِیهِ، وَبِنَارِ الْجَفْدِ یَكْوِیهِ، وَبِالْأَحْزَانِ یُبْئِلِیهِ، وَهُوَ أَسَاسُ حَیَاةِ الْإِنْسَانِ، وَشَمْسُ عَالَمِهِ، عَلَیْهِ یَعْتَمِدُ فِی كُلِّ أَعْمَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَمِنْهُ تَنْبَعُ كُلُّ قَوَاهِ، وَحَرَكَاتِهِ.. وَهُوَ آلَةٌ خَارِقَةٌ!.. لَا یَعْرِفُ التَّعَبَ إِلَیْهَا سَبِیلاً، تَزْدَادُ قُدْرَتُهَا أَوْعَافاً كَثِیرَةً، لِتُواجِهَ الْجَهْدَ الطَّارِئَ، إِنَّهَا عَضَلَةٌ مِنْ أَعْقَدِ الْعَضَلَاتِ، بِنِیاءٍ وَعَمَلٍ وَأَدَاءٍ، وَمِنْ أَمْتِنَتِهَا وَأَقْوَاهَا، تَنْقَبِضُ وَتَنْبَسِطُ ثَمَانِینَ مَرَّةً فِی الدَّقِیْقَةِ، وَیَصِلُ النَّبْضُ فِی الْجَهْدِ الطَّارِئِ إِلَى مِئَةِ وَثَمَانِینَ، وَیَضْحُ الْقَلْبُ ثَمَانِیَةَ آلَافِ لِترٍ فِی الْیَوْمِ الْوَاحِدِ، أِی مَا یَعَادِلُ ثَمَانِیَةَ أَمْتَارِ مَكْعَبَةٍ مِنَ الدَّمِ، وَیَضْحُ الْقَلْبُ مِنَ الدَّمِ فِی طَوْلِ عُمُرِ الْإِنْسَانِ مَا یَكْفِی لِمَلءِ مَسْتَوْدَعِ بِحِجْمِ إِحْدَى أَكْبَرِ نَاطِحَاتِ السَّحَابِ فِی الْعَالَمِ..

وینفرد القلب في استقلاله عن الجهاز العصبي، فتأتمر ضرباته وتنتظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتي هي أساس تخطيطه، وتتغذى عضلة القلب بطريقة فريدة !! ومن أعجب ما فيه دسّماته المحكمة التي تسمح للدم بالمرور باتجاه واحد، وهو مبدأ ثابت في المضخات.

حتى إذا سكّن القلب في قفصه، واستراح من عُصصه، خَلَفَ وراءه جثة هامة، كأنها أعجاز نخل خاوية.. فلقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذ قال:

((ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلّهُ، وإذا فسدت فسد الجسد كلّهُ، ألا وهي

القلب" (1) ((

ورحم الشاعر إذ يقول (2):

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَانِلَةٌ لَهُ إِنْ الْحَيَاةَ دَقَانِقٌ وَثَوَانِي

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عَمْرٌ ثَانِي

(1) جزء من حديث صحيح رواه البخاري (52 /1) ومسلم (1599) أوله:

((الحلال بيّن والحرام بيّن..))

الحديث.

(2) الشاعر أحمد شوقي رحمه الله.